نـــــص

كتاب ضوابط المعرفة

المسمى

شرح الهداية الأثيرية

للفيلسوف

صدر الدين محمد الشيرازى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله مخترع العقل الفعال، ومبدع النفس المكمال، معلق الصور بالمواد، ومؤلف النسب بين الأعداد والأبعاد، ومحرك الفلك من المركز، وإليه بل عليه، ومكون الكائنات من تغاير الأمهات، له المجد والبقاء فى البدء والرجعى، ومنه الجود والعطاء فى الآخرة والأولى.

وأسأله أن يصلى على أشرف من نهض بأعباء الرسالة، وساس الأمة بصنوف السياسة، محمد وآله المتحلين بالأخلاق المرضية، المتخلين عن الأدناس البشرية، عليهم الصلاة والثناء، ولهم الحمد والدعاء.

وأما بعد، فيقول الفقير إلى الله الغنى محمد بن إبراهيم الشهير بالصدر الشيرازى عفى عنهما: لما تطابقت القوانين الحكمية والأصول الدينية على أن أجل الذخائر والسعادات، وأفضل الوسائل إلى الفوز بالدرجات تكميل القوة النظرية بتحصيل العلوم الحقيقية، وتقنين القواعد اليقينية، إذ هى أنفس ما تشتاق إليه النفوس الإنسانية، وتقشع به العقول الهيولانية، وبها يصير الإنسان فائقًا على الأشباه والأقران، سالكًا سبيل العرفان، غير منحبس فى سجن الحدثان وظلمات العمى والحرمان.

فصرفت شطرًا من عمرى فى تحصيلها وبرهة من دهرى فى البحث عن إجمالها وتفصيلها، وكنت شديد الاشتغال من سالف الأوان بتبيينها، كثير التوجه من أول الريعان إلى تقنينها حتى ظهر لى مساعى من تقدمنى من علماء الأعصار، ووصلت إلى غاية أفكار من سبقنى من حكماء الأدوار.

فرقمت به ما سمحت قريحتى القريحة أثناء مطالعتها من الرد والإحكام، وجادت به فكرتى الجريحة حين التشغل بمباحثتها من النقض والإبرام، أرقامًا

مشتتة فى أوراق متفرقة، ولم يتسيَّر النظم والترصيف والجمع والتأليف لتشتت الحال وتفرق البال، وعدم مساعدة الزمان ومعاندة أهل الدوران.

ولما كثر التماس بعض المترددين إلى المشتغلين بقراءة «الهداية» للحكيم الكامل والنحرير الفاضل أثير الدين مفضل الأبهرى[1] لدى أن أكتب لها شرحًا جامعًا لشتات ما استفدته من إرشادات الحكماء وتنبيهاتهم واستنبطت من إيماضات الفلاسفة وتلويحاتهم، مضيفًا إلى ذلك ما تحدست به وألهمت إلهامًا وتأييدًا من الله وملكوته، فشرعت فيه إجابة لملتمسه وإقامة لمقتبسه، مجتهدًا فى كشف المطالب والمعانى جاهدًا بتوضيح المقاصد والمبانى، حائدًا عن طريقة المجادلين الذين يخدمون ظواهر الألفاظ، ولا يرومون بواطن المعانى، ومن استفتح عين عقله من رقدة الغفلات وسنة التقليدات يهتدى بالتعمق فى هذا الكتاب إلى طريق الرشاد ومنـــزل الصواب.

ويرى لطائف أفكار لا تكاد توجد فى مطاوى الكتاب الكبار ودقائق أستار لا يشير إليها الحكماء فى الأعصار، والمسؤول من جُبلَت سريرته على العدالة والإنصاف، والمأمول ممن تجنب بحسب الغريزة من الجور والاعتساف أن يصحح مواضع الخطأ والخلل، ويصلح مواقع القصور والزلل، بشريطة المهارة والتفطن الفائق مع الإمعان والتفحص اللائق.

---

(١) هو الذى قام بتأليف الهداية.